(تحويل القبلة تأملات وعبر)

الحمد لله رب العالمين ، خلقنا لعبادته ، وأمرنا بطاعته ، ووعَدَنا بجنته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك شهادة تنفعُنا وترفعُنا يوم الزّحام ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، سيّدُ الثقلين ونبيّ الحرميْن وجَدّ الحسنَ والحُسين اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلي آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد ..

فقد شاء ربُّنا سبحانه وتعالي وقَدّر أنْ تتقَلّب أمّةُ الإسلام علي مدار العام بين أحداثٍ تاريخية ومناسباتٍ دينية لها أثرٌ في القلوب ووقْعٌ في النفوس لتظلّ هذه الأمةُ مرتبطةً بدينها وعقيدتها وتتجدد لديها معاني الإيمان والقرب من الرحمن بين الحين والآخر ،، ومن تلك الأحداث الإسلامية الخالدة (حادثة تحويل القبلة) ، فقد ظلّ المسلمون الأوائل زهاء ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا يصلون تجاه بيت المقدس ،، حتي تحوّلَت قبلتُهم بفضل الله ورحمته إلي الكعبة المشرفة ، وثمة دروسٌ وعبر نستفيدها من هذه الحادثة الجليلة علي مرّ العصور والدهور وهاكُم بعضا منها :

*- **أولًا : الامتثالُ لأمر الله ورسوله كما يجبُ أنْ يكون** .. ولْنترك الصحابيَّ الجليل (البراء بن عازب – رضي الله عنه) يُجسّدُ لنا هذا المعني عمليًّا ، فقد روي البخاري ومسلمٌ في صحيحيْهما عن البراء قال : صلّي النبيّ صلّي الله عليه وسلم إلي بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا وكان يُعجبُهُ أن تكون قبلتُهُ تجاه الكعبة وأن أوّلَ صلاة صلّاها صلاةُ العصر ، وصلّي معه قومٌ فخرج رجلٌ ممن كانوا معه فمرّ علي أهل مسجد وهم راكعون ، فقال أَشْهَدُ بالله لقد صليْتُ مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم قِبَلَ مكة فداروا كما هم تجاه مكة ، فبالامتثال والانقياد لله ورسوله سادوا الدنيا وساسوها ..

ثانيًا : قدْرُ النبيّ صلّي الله عليه وسلم عند ربه سبحانه ..

لقد خاطب الرّبُّ تعالي سيدَنا محمدًا صلّي الله عليه وسلم كما حَكَي القرآنُ المجيدُ في آياتِ تحويلِ القبلة (قد نري تقلب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها – البقرة

آية144.. فمن شدة حبّ النبي صلى الله عليه وسلم لاستقبال الكعبة المشرفة ؛ أنه كان في الفترة المكية يجعل المسجد الحرام بينه وبين بيت المقدس فيكون عند صلاته قد استقبلهما معًا ، فلما هاجر إلى المدينة تعذّر عليه ذلك فراح يُقلّبُ بصرَهُ في السماء أملًا في أنْ يتّجهَ نحو الكعبة المُشَرفة وذلك لتعلق قلبه بأبيه إبراهيم الخليل عليه السلام باني هذا البيت ، ولحبه الشديد لتلك البقعة ، ولأنّ الكعبة هي أول بيت وُضع للناس في هذه الأرض ، ولأنها مكان اجتماع الناس في حجّهم فكان له ما تمنّي وأراد عليه الصلاة والسلام ..

 # – ثالثًا : جاءت هذه الحادثةُ الجليلةُ لتُميّزَ أمَةَ الإسلام عن غيرها ..

إنَ مِن أبْرَز الدروس التي نستفيدُها من حادثة تحويل القبلة ؛ إبرازَ فضلِ هذه الأمة وتميزها عن أيّ أمةٍ مضَتْ ، فهي أمةُ السماحة والوسطية ، فالكعبة المشرفة لَمّا كانت هي الوسط ، أراد الله أنْ تتجه أمةُ الإسلام إلي الكعبة الوَسَط ، لأنَها أمَة وسط كما قال تعالي مخاطبًا إياها (وكذلك جعلناكم أمة وسطا – البقرة آية 143 ، يقول ابنُ كثير في تفسيره : " إنما حولناكم لقبلة إبراهيم عليه السلام لنجعلكم خيار الأمم في الدنيا ولتكونوا شهداءَ علي الأمم يوم القيامة لأن الجميع يشهد لكم بالفضل " ، فالتميّزُ والوسطية سماتٌ ظاهرةٌ للمسلمين ، وجاءت تلك الحادثة الخالدة لتؤكد ذلك ..

 # – رابعًا : أنّ المسلمَ إذا عمل عملًا صالحًا في حينه برِئَتْ ذمّتُه وإنْ تغيّر الحالُ بعد ذلك ..

لمّا تمّ حادثُ تحويلِ القبلة تساءلَ بعضُ الصّحابة عن صلاة إخوانِهِم الذين ماتوا قبل تحويل القبلة ، فأنزل اللهُ قولَهُ (وما كان الله ليُضيعَ إيمانَكُم) أيْ : صلاتكم .. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه .

** الخُطبة الثانية :

الحمد لله وكفي ، وصلاة وسلامًا علي النّبيّ الذي اصطفي ،، أما بعد ..

ما إنْ تَحِلّ علينا مناسبةُ تحويل القبلة إلَا وتأتي مقرونة بها ليلةٌ من أعظم الليالي في الإسلام ألا وهي (ليلة النصف من شعبان) ، ليلة المغفرة والتجلّي الإلهي ،، روي أحمدُ في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم

قـال : (يطّلـعُ اللهُ إلـي خلقـه ليلـة النّصـف فيغفـر لهـم إلّا اثنـين مشـركٌ ومُشـاحنٌ) والمشـاحنُ : هـو الـذي بينـه وبـين أخيـه المسـلم عـداوة ،، فـاللهَ اللهَ فـي اغتنـام هذه الليلـة بالطاعة والقرب ، فهي ليلة الإنابة ، ولا يحظي بها إلا اللائذُ بالجَناب ، المتعرّضُ للباب ، الباكي علي ما جَنَي ، المستغفرُ لما قد دنا .. والحمدُ لله ربّ العالمين .

وكتبه : فضيلة الشيْخ / رمضان شحاتة محمود محمد – مبعوث وزارة الأوقاف المصرية لدولة البرازيل